الفصل الثاني

الأصول العقدية في الإسلام
وافتراءات المستشرقين عليها

أ-تعريف بأصول الاعتقاد في الإسلام:

الإيمان في الإسلام يرتكز على أركان وأصول ستة :

أولها : الإيمان بالله وحده.

وثانيها : الإيمان بالملائكة.

وثالثها: الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل.

ورابعها: الإيمان بالرسل -عليهم السلام-.

وخامسها: الإيمان باليوم الآخر.

وسادسها: الإيمان بالقدر خيره وشره.

«وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب»[1]

وقد أشارت إلى هذه الأصول الإيمانية آيات كثيرة في الكتاب العزيز وكذا أحاديث وفيرة في السنة المطهرة ومن الكتاب الكريم جاء قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] وقوله تبارك اسمه :

(١) راجع العقيدة الصحيحة وما يضادها، ص٥٠ - الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٢٨٥.

obeikandl.com

﴿ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[1]

أما في السنة الشريفة فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سَأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالقدر**[2] فقال: صدقت.

وفي هذا بيان على أن جبريل عليه السلام كان يصدق على إجابة النبي ﷺ، لأنه كان يعرف الإجابة مسبقاً، فأراد التأكيد على صدق النبي ﷺ، ولذلك لما عجب الصحابة الكرام من السائل وتصديقه قال النبي ﷺ لهم: **هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم**[3]

إذن فهذه الأصول عليها يرتكز الإيمان في الإسلام، وأي تشكيك في ركن منها يؤدي إلى نقص الإيمان إن لم يكن انتفاءه.

لذلك وجه المستشرقون سهامهم وأطلقوا افتراءاتهم على هذه الأركان لكي يهدموا بنيان الإسلام في قلوب المسلمين ويبعدوهم عن منهج رب العالمين حتى يكون لهم القوة الفكرية بعد ذلك في التوجيه والتقويم.

ب - منهج المستشرقين في الافتراء على عقيدة المسلمين في الوحدانية والصفات.

الوحدانية في الإسلام:

معلوم أن الوحدانية في الإسلام هي وحدانية خالصة ومتكاملة من كل جوانبها. فالله واحد لا يعبد غيره ولا يتوجه إلى أحد سواه بالدعاء والخضوع، ويجب أن يكون

(١) سورة البقرة من الآية: ١٧٧.

(٢) صحيح مسلم ج١ كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، ص٤٠.

(٣) وكان جبريل عليه السلام قد جاء للنبي ﷺ وهو وسط الصحابة الكرام في صورة دحية الكلبي؛ لذا كشف النبي عن شخصيته. راجع رداً على الملاحدة والعلمانيين، ص٦٠ فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

ذلك بإخلاص ويقين. قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1] وهذا يسمى توحيد العبودية في الإسلام.

ثم هناك أيضاً وحدانية الربوبية والتكوين وهى تقرر أن هذا المعبود هو وحده خالق الوجود ومكونه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾.[2]

فلا المادة ولا الصدفة ولا غيرها كوَّن هذا الكون بل هو الله وحده.

كما أن هناك وحدانية في الذات والصفات فذاته ـ جل شأنه، وتقدس اسمه ـ غير مركبة من أجزاء، ومنزهة عن مشابهة الحوادث. وكذا صفاته لا تعادلها صفات ولا يساويها أحد من خلقه لأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[3]

توحيد خالص متكامل بكل شعبه تفرد به هذا الدين القويم عن سائر الأديان. ومع ذلك فهذا التوحيد لم يسلم من افتراءات الحاقدين من المستشرقين إذ زعموا زوراً وبهتاناً أن ما أخبر به نبي الإسلام عن وحدانية الرحمن وأسمائه وصفاته هو مقتبس من البيئات والديانات الأخرى، فهو بمثابة تحصيل حاصل ولا جديد فيه.

ج- المنهج الاستشراقي المستخدم في الافتراء على العقيدة في الله تعالى:

وقبل عرض أمثلة من أقوالهم في ذلك ومناقشتها يستحسن أن نشير إلى أن هؤلاء قد استخدموا في دراسة الإسلام وعقيدته مناهج علماء الاجتماع التي تربط نشأة المعتقدات الوثنية بالبيئات والمجتمعات، وممن كتب في هذا المنهج من علماء الاجتماع (جون امبتي J.Mbiti) فقد كتب أن المعتقدات القبلية الوثنية في إفريقيا قد نشأت بسبب ارتباط السكان بعوامل بيئية واجتماعية، ولهذا لا يعرف أول من تبناها، ولكنها-كما

(١) سورة البينة الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر الآية: ٦٢.
(٣) سورة الشورى الآية: ١١.

يذكر- قد تطورت تدريجياً عبر القرون بسبب وجود الصحاري والجبال والأنهار وغير ذلك من القوى الكونية والحوادث التاريخية كالحروب والمجاعات.

وعلى الجملة فهذه المعتقدات الوثنية القبلية هي وليدة الظروف الخارجية التي يفرزها واقع البيئة على الإنسان ومن ثم يحاول أن يكيف حياته إزاءها.[1]

ثم جاء (مونتجمري واط) فلم يخرج عن هذا المنهج في ربط المعتقدات بالمجتمع. فقال: إن ذكر الحوادث التاريخية ليس بعيداً عن الاهتمام العقدي، فإن مؤيدي علم الاجتماع المعرفي يرون أن كل الأفكار العقدية والفلسفية ذات مرجع سياسي أو اجتماعي.[2]

ولما جاء (سكوبي) صفق لهذا المنهج وقرر أنه قد تم تطبيقه لا على الديانات الوثنية فقط بل على النصرانية.

إن هناك بعض الدراسات في المعتقدات النصرانية والسلوك الديني أثبتت أن بعض الأوضاع الاجتماعية يمكنها أن تؤثر في الدين.[3]

ثم توجهوا بعد ذلك إلى تطبيق هذا المنهج في الإسلام وعقيدته فماذا قالوا؟

د-عرض إجمالي لأقوالهم وافتراءاتهم عن الوحدانية والصفات:

أولاً: أقوالهم عن الوحدانية في الله:

١- يقول (مونتجمري واط): إن الإسلام بعقيدته عبارة عن إبداع إنساني ونتاج بيئة من حيث الزمان والمكان[4] وهو بهذا يحاول تطبيق المنهج السابق.

---

(١) راجع بحث د/ محجوب أحمد كردي - في كتاب دراسات استشراقية، ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٨.

(٣) نفسه ص١٤١.

(٤) المصدر السابق، ص١٤٤.

٢- ثم تقول دائرة المعارف الإسلامية في مقال كتبه (ماكدونالد) تحت عنوان «الله الكائن الأعلى عند المسلمين» مما لا شك فيه أن العرب قبل محمد قالوا بوجود إله على نحو ما سموه (الله)... وكانوا يعترفون بالله ويقسمون به جهد أيمانهم... وليس من السهل دائماً إن نميز بين آرائهم وبين تفسير محمد لهذا الرأي.. وقد اعتبروا بعض الإلهة (الملائكة) بنات الله.[١]

وعليه (فمكدونالد) لم يخرج أيضاً عن القول بأن البيئة أثرت في عقيدة محمد ﷺ وعقائد بيئته واضحة.

٣- ثم يعلن (واط) بكل سذاجة أن محمداً ﷺ في عقيدته تأثر بالتقاليد العربية الشركية (في الجاهلية) واستدل على ذلك بقصة الغرانيق العلى التي ذكرها الطبري[٢] دون طعن فيها.

ثم زعم أن الإسلام قد احتوى على هذه الشركيات وقبلها.[٣] وقد أيده في ذلك (بروكلمان)[٤] الذي قال: إنه على ما يظهر (أي للكاتب) أن محمداً اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاثة اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، وقد أشار إليها في إحدى الآيات الموحاه إليه بقوله (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى)[٥]

ثم ينتقل الأمر بعد ذلك إلى القول بالاقتباس لهذه العقيدة الغراء من اليهودية والنصرانية وانظر إلى الكذب والافتراء في ذلك.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٥٨، ترجمة /محمد ثابت الفندي وآخرون.

(٢) راجع تاريخ الطبري، ج٢ ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) دراسات استشراقية .البحث السابق ص١٤٨.

(٤) ينخدع كثير من المسلمين في بركلمان هذا مع العلم أنه يضع السم في الدسم كما نرى الآن.

(٥) راجع تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص٤٣ وما بعدها.

٤- يقول: (جولد تسيهر) اليهودي المجري الأصل: «إن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل وأخذت من عدة روافد أجنبية كاليهودية والهلينسية وغيرها، وأن الإسلام استطاع أن يمتص هذه الآراء الأجنبية ويتمثلها وكأنها جزء أصيل من تعاليمه»[١]

٥- ثم ينتهز (فنسنك) الفرصة أيضاً بعد ذلك ويقول: «إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف (يوحنا الدمشقي) وشرحه للذات الإلهية.»[٢]

وهذا يعني أن النصرانية لها تأثير في العقيدة الإسلامية «لأن محمداً كان منتخباً لتعاليمه عن أديان سابقة ومنها النصرانية». [٣]

ثانياً - أما عن أسماء الله تعالى وصفاته:

والتي قد جاء ذكرها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقد استخدم المستشرقون معها المنهج نفسه والمنطق المعوج سالف الذكر.

وهاك دائرة المعارف الإسلامية تذكر أقوالاً تدل على عدم اتزان أصحابها عقلياً ومنها ما يلي: -

١- الادعاء بأن لوازم السجع حملت محمداً ﷺ على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن، وهي تعبر عن حقيقة إله محمد لكنها عبارات مبعثرة ومتناقضة، أما أسماء الله فتبدو لأول وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقية[٤]

---

(١) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسهير، ص١١، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

(١) دراسات استشراقية، ص١٥٠.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٤.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦١.

٢- ثم تزعم الدائرة مرة أخرى أن النبي ﷺ قد اختلق هذه الصفات من خياله ومرة اقتبسها من النصرانية.

فعن الأولى تقول: - وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة مثل: الأول والآخر والظاهر والباطن..الخ

وهكذا كان بعض شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة في استعمال الصفات[١] وفي هذا إيحاء بأنه يماثلهم في التخيل وبهم متأثر -حاشاه- ﷺ.

وعن الثانية تقول: إن جذور هذه الصفات يعود للنصرانية أكثر من غيرها فمن صفاته كذلك صفة البر (سورة الطور آية ٢٨) ونور السموات والأرض (سورة النور آية ٣٥).

ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة (نور العالم) التي وردت في الإنجيل «ونور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية».[٢]

٣- ثم تقول الدائرة:

وما صفة الباري فقد أخذها محمد من العبرية واستعملها دون أن يقصد معنى خاصاً[٣]

وهذا يعني من وجهة نظر كتاب الدائرة أن نبينا ﷺ كان يقول بصفات عن ربه وهو لا يعرف معناها.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٦٢.

(٢) نفس المصدر، ج٢ ص٥٦٣، والنيقية إشارة إلى قرار مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ والذي جاء بقانون إيمان فيه تأليه للمسيح -عليه السلام- والمسيح براء من هذا القانون الأيماني وعقيدته، فزمنه ومكانه يدلان على تبرئة المسيح مما نسب إليه في هذا القانون. للمزيد راجع المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ص١٠٠ للمؤلف.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦٤.

٤- وأما صفتي الرحمن الرحيم فتقول: يظهر أن محمداً قد أخذ هذه الصيغة عن جنوبي بلاد العرب.[١]

ثم يقوم كتاب الدائرة بعد ذلك بهجوم شرس حاقد على بعض هذه الصفات ليبعدوا المسلمين عن الاعتقاد بصدقها ما أمكن فيقولوا:

٥- إن هناك بعض الصفات التي أطلقت على ذات الله في الإسلام ولكنها تدل على الذم إذا أطلقت على غيره من الأفراد مثل صفتي: المتكبر والجبار.[٢]

وفي هذا إيهام بأن النبي ﷺ كان يطلق صفات الذم على الله عز وجل علماً بأن المخلوق لا يقبلها.

٦- ثم يقولون: كما أن هناك تناقض بين الصفات مثل: المعز والمذل، والقابض والباسط، والمؤخر والمقدم، وعبارات محمد ﷺ في هذا المجال مبعثرة.[٣]

٧- ثم ينتهون إلى هذه الفرية الكبرى التي قالها كبراؤهم من أمثال «نيكولسن» وغيره وفيها: إن هذه الصفات التي قال بها محمد في الله جعلت إله الإسلام جباراً مخوفاً لا تكن له القلوب إلا الوجل والاستسلام؛ لأن الإسلام نفسه انقياد وشعور بالتبعية.

أما الإله في النصرانية فهو رحيم أرسل ابنه الوحيد لينتحر على الصليب، ومن ثم فصلة المسلمين بربهم قوامها الرهبة وطابعها العبودية الذليلة.[٤]

---

(١) ج٢ ص ٥٦٥، ٥٦٦ المصدر السابق.

(٢) راجع المصدر السابق، ج٢ ص٥٦٢، ٥٦٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ج٢ ص٥٦١.

(٤) راجع المستشرق (نيكولسن) ومفترياته على الإسلام، ص٢٥٧- محمد يوسف الكباشي، ودفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص١٨، ١٩ الشيخ محمد الغزالي.

تلك هي بعض افتراءاتهم على عقيدتنا الغراء التي تأمرنا بتوحيد الإله جل وعلا والتصديق بأسمائه وصفاته دون تشبيه ولا تمثيل لأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

هذا ويمكن بعد العرض السابق لافتراءات وأقوال المستشرقين إجمالاً حول العقيدة الإسلامية في الله تعالى وصفاته: أن نجمل النقاط التي يمكن أن نناقشهم فيها ونتبعها بالنقد الموضوعي وأهم هذه النقاط التي يمكن التركيز عليها مايلي: -

١- المنهج الاستشراقي وسلبياته.

٢- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة العربية.

٣- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة اليهودية.

٤- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة النصرانية.

٥- ما قالوه في الصفات الإلهية إجمالاً وتفصيلاً، وسنقوم بالرد على هذه النقاط في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الشورى من الآية: ١١.

obeikandl.com